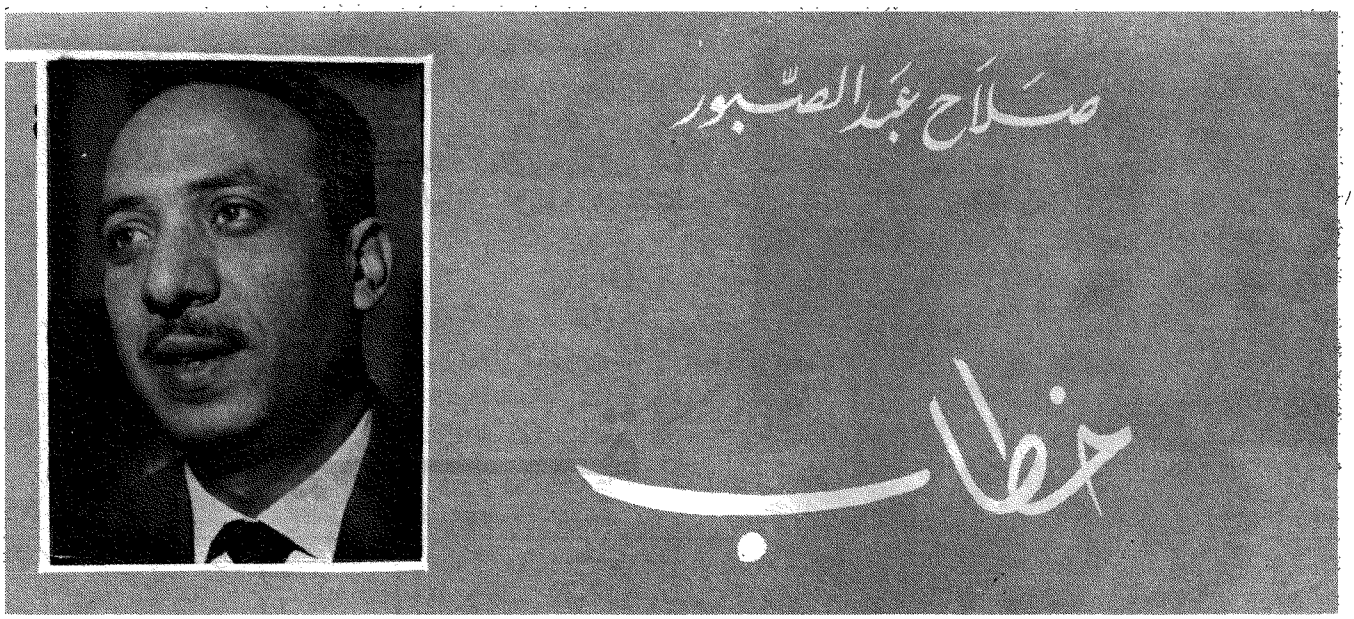

صلاح عبد الصبور



# خطاب

# الى سهيل ادريس .. والى كل من يهمه الأمر !

.. وهكذا صحبنا « الآداب » ربع قرن من حياتها وحياتنا ، سبق ميلادنا ميلادها ، ولكنها ولدت شابة وحاولنا ان نكون شبابا معها . ثم مرت السنون بصخبها وغضبها ، فألقت في مفارقنا تراب ايامنا المحترقة ، ولكن الآداب تظل شابة ، وهاهي ذي تخرج من حريق المحنة وقد اكتست ريشا وزغبا ، وها هي ذي تتأهب للتحليق مفتتحة رحلة ربع قرن جديد ، وها نحن اولاء نعود لنكتب ممسكين بالقلم كأننا نمسك به للمرة الاولى .. نفس الرعشة في اليد ، ونفس التوجس في القلب والخاطر .

وقد لا تعلم يا عزيزي سهيل ، وقد لا يعلم احبابنا من القراء الذين اولونا حبهم هذا الزمن الطويل ، انني لم امسك بالقلم منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات الا لخاطر عابر أو نفثة حبيسة . حتى لقد اصبحت لا آلف هذا القلم واوشك ان اخشاه . واني لاحاول الآن ان اتلمس في نفسي علة ذلك الاعراض فلا أجد الا الالم الممض واليأس اليائس ، وتطالما مرت بي ليال كومت فيها امام ناظري اكواما مما كتبت وكتب زملائي من ابناء هذا الجيل ... جيل الآداب .. ، وسألت نفسي : ترى هل جعلت اشعارنا وقصصنا ومقالاتنا عالمنا اكثر جمالا او اقل قبحا ؟ ولطالما ساءلت نفسي : أهذه هي صورة العالم العربي الذي كنا نحلم به في بداية الخمسينات حين خرجنا في غزوتنا لقهر الشر ودحر الرداءة ؟ هل كان العيب فينا ام في زماننا ، ام اننا قنعنا بالحكمة بينما كانت القدرة في يد غيرنا من اعداء العقل وخصوم التأمل والذوق .

لا اريد ان ادخل في متاهات السياسة ، فالسياسة العربية عصية على التحليل . لا تنسجم معطياتها مع اي من المناهج التاريخية .. المنهج تلخيص الوقائع المفردة في نسق ، والسياسة العربية لا نسق لها ، وانما هي وقائع مفردة توشك ان تكون عشوائية . والعالم العربي غريب الشأن حقا . فليس هناك مجموعة من الناس كانت مؤهلة لدخول العصر الحديث بقدر ما كان العرب مؤهلين لذلك ، ولكنهم مع ذلك يشدون انفسهم شدا الى الزمن القديم ، وهم لا يشدون انفسهم الى زمنهم القديم ، بل الى زمن قديم وافد عليهم .. الى زمن المماليك والمغول . فيتشرذمون شراذم ، ويتحول سادتهم الى امراء اقطاع يجندون الجند ويحتكمون في امرهم الى الخديعة والسيف ، بينما تظل العامة تزرع وتقلع وتدعو الله ان يصلح الاحوال .

أين ما بشر به روادنا الاول .. رفاعة الطهطاوي ومعاصروه .. وطه حسين ومعاصروه ؟.. ان اسلافنا ليتميزون منا الان غيظا ، فقد اضعنا تراثهم المجيد ، ولعلهم زرعوا في الريح فجنت العاصفة الثمار . من يستطيع الآن أن يتحدث كما تحدث طه حسين عن حرية العقل فلا تحاصره الاصوات اللاغطة بالصخب الذي تذيعه وسائل الاعلام الحديثة عن الاصالة والسلف الصالح ، ومن يستطيع الآن ان يتحدث كما تحدث طه حسين عن حرية العقل الاثينية فلا تحاصره الاصوات اللاغطة بالصخب الذي تبثه المترجمات الرديئة عن الديموقراطية الاجتماعية والوعي الطبقي ؟

اية اصالة هي تلك التي يتحدثون عنها ، واي من الاسلاف الصالحين ؟ ان من اراد اسلوب هارون الرشيد في ادارة الدولة اراد بالتالي اسلوب مسلم بن الوليد في الشعر ، ومن اراد اسلوب صلاح الدين الايوبي أراد بالتالي اسلوب القاضي الفاضل في النثر . وكلاهما يريد العودة الى الجند المرتزقة ، والى نشوء طبقة « العسكر » التي تحمي الثغور حينا فاذا خلت من ذلك الهم عادت لتتسلط على رقاب العباد .

واي ديموقراطية اجتماعية هي تلك التي يتحدثون عنها ، وأي وعي طبقي . والعالم العربي كما يؤكد فطاحله الايديولوجيون قد قام بما لا يقل في التعداد عن عشرين او ثلاثين «ثورة» في اجزائه المختلفة ، وكلها ثورات تزري بالثورة الفرنسية والثورة الروسية ، ومع ذلك فان نسبة الامية فيه تزيد عن سبعين في المائة حتى الآن . واظن ان عالما كهذا العالم لن يستطيع فيه الفلاحون ان يمثلوا انفسهم ، بل سيتصدى لتمثيلهم والحكم باسمهم من يملك وسيلة الاقناع التي تحدث عنها المعري حين قال :

تلوا باطلا ، وجلوا صارما

وقالوا : صدقنا ، فقلنا : نعم

ان ما يلوح لي ياعزيزي سهيل هو ان عالمنا العربي كان يطمح منذ ولادته الحديثة في القرن التاسع عشر الى شيئين : هما الديموقراطية والتحديث . وقد سار للاسف في عكس هذين الطريقين في الثلاثين سنة الاخيرة .

***

وتطوف بي الآن ايها العزيز ذكريات معك ، فقد قضى الله ان نكون قريبين في موقفين من اجلك ما مر بالامة العربية ، وان ننفض احزاننا ومواجدنا كل لصاحبه .

صداقتنا طويلة ، ضحكنا فيها كثيرا ، ولكنا بكينا معا مرتين ، لعلك تذكرهما ايها العزيز .

هل تذكر يوم الانفصال ؟

لقد كنت في مؤتمر الادباء العرب ومهرجان الشعر بدمشق ، وغادرت العاصمة السورية قبل ان ينتهي المهرجان بيوم قاصدا بيروت . وأويت الى فندق في شارع الحمراء ( كيف هو الآن ؟ ) . وفي الصباح كنت اتناول افطاري في باحة الفندق الخارجية ، حين سمعت صوتا يهتف بي ، ونظرت لاجد وراء الزجاج وجه كمال ناصر ( صوبت الطلقة في فمه لكي تسكته الى الابد ، ولم يثأر له حتى الآن ) ، وناديته فدخل ، لكي ينبئني بما يذيعه راديو دمشق منذ الصباح من بيانات مرقمة ..

وتسمم الافطار وفسدت القهوة . فقد كانت الوحدة عوضا باذخا عن عناء ثقيل . كان كل ما حولنا سخيفا متعطنا ، وكانت الوحدة هي الحلم النبيل ثم هي الحقيقة المضيئة وسط هذا الظلام المتراكم بعضه فوق بعض طبقات . وبعد قليل كنا ـ كمال وانا ـ نلتقي بشفيق الحوت في « الحوادث » لعل لديه اخبارا ، ثم ننتقل ثلاثتنا الى منزل سميرة عزام ( قضت حسرة على هزيمة العرب في الخامس من يونيو ) . ولعل سميرة كانت تجري تجربة الموت المحسور في ذلك اليوم ، فقد بكت حتى أبكتنا جميعا ، وفي الاصيل التقيت بك يا عزيزي سهيل ، ومشينا على الكورنيش نتباكى معا . ثم خطر لك ان تزور صديقا لنا يسكن في شقة مطلة على الكورنيش في احد بنايات بيروت الكبيرة ، واخبرك من بالباب ان صديقنا يقيم احتفالا بالانفصال !

هل اثرت المواجع القديمة ؟ . لا عليك ، ولا لوم على صديقنا ولا تثريب ، فلقد عشنا زهرة حياتنا مرتبكين ، يختلط علينا الابيض والاسود ، وتتشابه امام اعيننا الاقنعة والوجوه . ولن اعطي لنفسي ابدا هذا الحق المترف في ان ادين احدا من ابناء جيلنا من الادباء . فلقد بعثر وجداننا كما يتبعثر الهشيم في الريح . ومددونا مصلوبين على صليب اخذ ذراعيه صدق مطلق وذراعه الاخرى كذب صراح ..

ولنعد للبداية .. لعلك تذكر بعد ان افقنا من جهشات البكاء انني قلت ، وربما كان هذا رأيك ، ان سبب الانفصال كان هو : غياب الديموقراطية .

وهل تذكر ايام يونيو ١٩٦٧ التعسة ؟

كنت انت في القاهرة في تلك الايام ، وانقطعت بك الاسباب حين اغلقت المطارات .. وشهدت معنا احداث اليوم المشئوم ، وبعد ان انكشف ستر الحقيقة من تحت غطاء الكذب والدعاية السوداء كنا نجلس في بيتي ، وكان معنا فيما اذكر رجاء النقاش .

لقد ازعجتك وقسوت عليك في ذلك اليوم ايها العزيز .. كنت حزينا فزدتك حزنا ، وكانت صورة « البطل » نابضة في نفسك فانهلت عليها تحطيما وتمزيقا .. كنت احس انه قد خانني وخانك وخاننا جميعا ، بينما خنا انفسنا ومعتقداتنا في الحرية والديموقراطية من اجله . لقد اغتفرنا له كل شيء طمعا في ان يصون كرامة وجوهنا في يوم كهذا اليوم ، ولكنه مرّغ وجوهنا في التراب .. واأسفاه .

وحاولنا ان نتفلسف ، وقد كانت كلمتا الفلسفة والتفلسف كلمتين بغيضتين عند هذا البطل . وكان عادة يخلط بينهما وبين كلمتي الحذلقة والتحذلق ، ويطلقهما في مجال السخرية بالمثقفين .

وقادتنا ـ او قادتني ـ الرغبة في التفلسف ـ الى القول بان السبب فيما كان هو غياب الديموقراطية ، وسألتني متحديا :

ـ ولماذا لم تتحدثوا ايها المثقفون عن هذا الامر وتكشفوه للناس ؟

وقلت لك في دعابة سوداء :

ـ اتظننا مجانين يا سهيل ؟ لو تحدثت انا مثلا لاتهمت بابشع التهم . لن يكتفوا بسجني ، ولكنهم سيلوثون سمعتي وشرفي . ولسوف تبادر الصحف التي اعرف

معظم العاملين فيها معرفة وثيقة الى نشر صوري متهما بالخيانة والتخابر ، وربما زعمت لي نسبا الى الصهاينة او غيرهم من الاشرار ، ونسجت لي قصة من الكيد القديم للبلاد .. وربما دفعتك انت ايها الصديق القديم الى ان تصدق في صاحبك ما قالوه من الافك ... انك لا تدري كيف يقف الفرد عاريا منزوع السلاح امام مؤسسات الدولة الشمولية !

واظنك في ذلك اليوم لم تعجبك دعابتي السوداء . وسكت مطرقا ، ثم اجهشت بالبكاء .

وها قد مرت سنوات على ذلك اليوم ، حدث فيها ما حدث . وكان اوجعه هو الحرب الاهلية في لبنان ، وقد خرجت منها سالما بجسمك وروحك ، وبالآداب روحا تريد ان تتجسد . ولكن لا اشك ان جراحك كثيرة ، غير انك تتجاوزها بحماستك وحميتك . لقد صنعت الاداب جيلا من الادباء كان تعس الحظ ، فلعلها تصنع في ربع قرنها القادم جيلا آخر يكون اسعد من سابقه حظا.

اما انا . فانني لائذ بصمتي .. حتى اجد ما اقول .

**نيودلهي**


**ريجيس دوبريه**

**مذكرات برجوازي صغير**

**بين نارين واربعة جدران**

ترجمة د . سهيل ادريس

في اثناء الحرب البوليفية ، اعتقلت السلطات ، بعد مقتل تشي غيفارا ، الكاتب والمناضل الفرنسي ريجيس دوبريه وحكمت عليه بالسجن لمدة عشرين عاما . ولكن انقلابا حدث عام ١٩٧٠ خفف عن دوبريه قيود الزنزانة في « كاميري » فسمح له بأن يقرأ ويكتب ..

وهذا الكتاب هو ثمرة افكاره وتأملاته في السجن ، وفي كثير من مقاطعه يخاطب الكاتب نفسه ، متحدثا عن كثير من هموم المناضلين والمثقفين ، دون ان ينسى انه ينتمي في اصله الى « البورجوازية الصغيرة » ..

انه في سجنه ، يعيش في صحراء تبعد الوف الاميال عن اوروبا ، وداخل اربعة جدران يكاد يعتبر نفسه جزءا منها ، فيلتزم صمتا يتكون جرحه من الكلمات ..

ان السجن هنا هو لحظة الحقيقة وقد امتدت على سنوات ..

منشورات دار الآداب ــ بيروت


# الآداب

## المؤسسة التقدمية القومية

### د. سعدون حمادي

كنا طلاب مدارس ثانوية عندما صدر العدد الاول من « الآداب » ، وكانت فترة ازدهار الثقافة الادبية الجديدة وبعث التراث الثقافي العربي ، حيث عمل الانتاج الثقافي ، الذي كانت تنشره المجلات الادبية المعروفة آنذاك في العالم العربي ، على توثيق صلة الجيل الجديد بماضي الامة وفتح قنوات الاتصال بالقيم الروحية والمثل العليا التي اتسمت بها الحضارة العربية القديمة . وكان ذلك النشاط الثقافي ، انتاجا وقراءة ، هو الاساس الاول لبعث الروح القومية من دون شك . وعندما صدرت « الآداب » كمجلة ادبية رصينة عالية المستوى ، لم نر فيها واحدة من المجلات الادبية الرصينة العالية المستوى التي كنا نعرفها آنذاك ، بل وجدنا فيها شيئا اخر هو انها اكثر وضوحا .. واقصد بذلك انها قد خطت خطوة جديدة الى الامام في مجال نشر الوعي القومي والدعوة للوحدة العربية .. لذلك وجدنا بها شيئا جديدا . وربما كان ذلك هو الذي دعاني شخصيا لان ارسل لها مقالا يبحث في